الخطابة الدينية
علم وفن وسلوك

أ . د / حسن عبد الحميد حسن

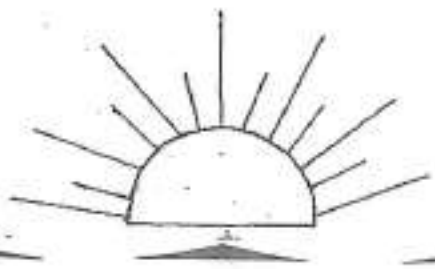

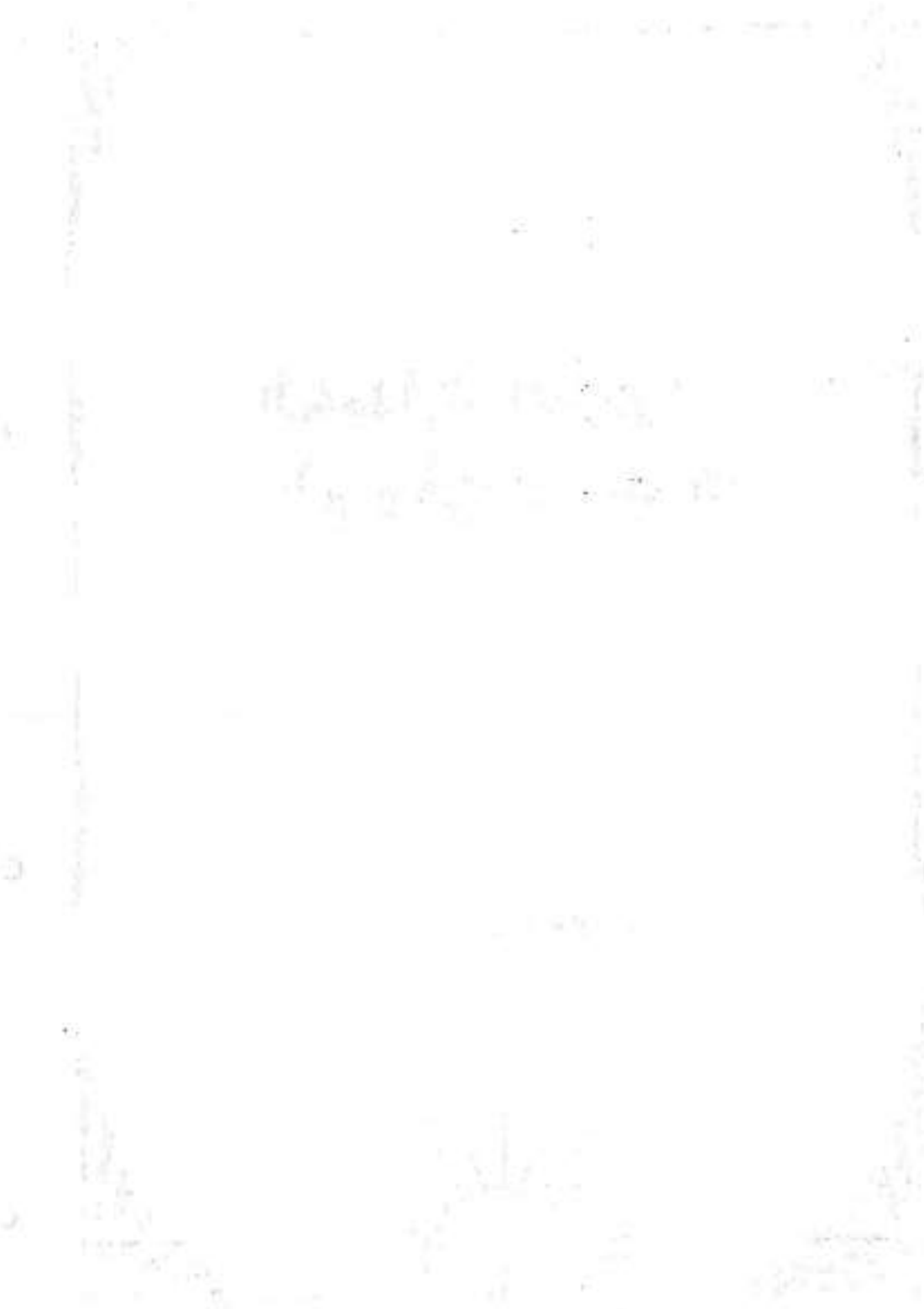

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالي ، وأصلي على خاتم رسوله وأنبيائه ، سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه ، وأستفتح بالذي هو خير ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

وبعد

فهذه صفحات تمثل – في جملتها – جولة فكرية قصيرة في ميدان من ميادين الدعوة إلي الله تعالي ، وهو ميدان تعددت جوانبه وتنوعت خصائصه . فيه تتبارى الألسنة وتعلو الأصوات . نبراتها أخاذة قوية وألفاظها سيالة جذابة يحاول أصحابها السيطرة على مشاعر المستمعين والنفاذ إلي قلوبهم ... إنه ميدان الخطابة ... وهو من أهم ميادين الدعوة وأخطرها شأناً وأجداها نفعاً ، فيه يختبر الداعية إلي الله ، يحالفه التوفيق عندما تؤتي خطبه ومواعظه ثمراتها المرجوه ، ويجانبه الصواب عندما يتصدى لهذا الميدان بلا أسلحة قوية وإعداد دقيق . ولا أريد في هذه العجالة السريعة أن أتوقف كثيراً أمام هذا الميدان " ميدان الخطابة " وما يجب على الجندي (الداعية إلي الله) حياله من أمور وواجبات منها ما يتصل بشخصه ، وأعني بذلك إعداد الخطيب وتربيته وتأهيله لخوض غمار هذا الميدان . ومنها ما يتعلق بالخطابة كعلم له أصوله وقواعده ، وكفن له ممارساته وتجاربه العديدة ، وكسلوك يلتزم به الخطيب مع خالقه عز وجل من ناحية ، ومع المستمعين له من ناحية أخري .

فهذه الأمور وغيرها سنتكفل ببيانها في هذه الدراسة . ما أريد التنبيه إلية هو أن الخطابة ليست علماً من العلوم التى تحتاج إلي دراسة نظرية فحسب ، وإنما هي إلي جانب ذلك ممارسة عملية وتجارب تتلوها أخرى ، إلي أن تكتمل لدى الخطيب القدرة على ارتياد المنبر ، ويغدو قادراً على الوقوف أمام الناس ، يخطب فيهم بشجاعة وقوة ، لا يعتريه خوف ، ولا تصيبه هيبه أو تلعثم ، يؤمن

بما يقول ، ويعلم بما يقول أيضاً . ومن ثم تخرج كلماته من القلب فتنفذ إلي قلوب السامعين ومشاعرهم .

وهذه الصفحات التي نضعها بين يدي القارئ . نحاول من خلالها رسم المناخ الصحيح للخطابة . كعلم له قواعده وأصوله وفن له ممارساته وتوجيهاته وإبداعاته . وكسلوك يلتزم به الخطيب مع المستمعين . هذا السلوك – في رأينا – يمثل القاسم المشترك بين الخطابة كعلم وفن .

تعريف الخطابة :

وضع العلماء للخطابة تعريفات عديدة ، تتقارب فيما بينها من حيث توضيح معني الخطابة والهدف الذي ترمي إليه ، باعتبارها وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة ، ومن هذه التعريفات أنها " ضرب من البيان اللساني له خطره الكبير في إثارة العواطف والمشاعر ، وحمل الناس على التصديق بما يقوله الخطيب " وهناك تعريف آخر للخطابة " فهي علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة التأثير في نفوسهم ، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم (١) وهي أيضا " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقناعية تشتمل على الإقناع والاستمالة " (٢) .

ونلاحظ من خلال هذه التعريفات :

١ – أن اللسان هو أداة الخطابة ، وهو المعبر عنها ، والمفصح المبين عما يريد الخطيب إيصاله إلي قلوب المستمعين ، كما أن الكتابة أداتها العلم فإن الخطابة أداتها اللسان .

---

١ – علم الخطابة د / أحمد غلوش ص (٩) .

٢ – يلاحظ أن تعريفات الخطابة سواء ما ذكرناه هنا من بعضها ، أو ما ذكره الباحثون في كتبهم تختلف في صياغتها وتتفق فيما تهدف إليه .

٢ – أن للخطابة دورها وخطرها في إثارة مشاعر الناس والاستيلاء على عواطفهم والنفاذ إلي نفوسهم . بها يستطيع الخطيب أن ينفذ إلي القلوب مستمعيه ، فيزيل ماران عليها من غشاوات الحس وضلالات الجاهلية . وأن يتسلل إلي أعماق النفوس فيعالج ماركز فيها من زيغ عقدي أو هوى شيطاني أو بدعة موروثة ، ولا يتأتي ذلك للخطيب إلا بأدلة قوية ، وأسلوب بليغ مؤثر وحجج مقنعة ، وسلوك قويم .

٣ – أن الخطابة بهذه المعاني التى ذكرناها تحمل الناس على التصديق بما يقوله الخطيب ، وذلك باستمالتهم وإقناعهم ، وتنويع الأساليب بين الترغيب تارة والترهيب أخرى . وسنذكر مزيداً في هذا الجانب عند حديثاً عن إعداد الخطيب وتربيته .

الخطابة عبر التاريخ (١) :

عرفت الخطابة منذ الحضارات الإنسانية القديمة ، فقد عرفها المصريون القدماء ، ثم عرفها اليونان كعلم له قواعد ، فازدهرت في عهدهم ازدهاراً كبيراً على يد فلاسفتهم سقراط ، أفلاطون ، أرسطو .

وقد ساعد على نمو الخطابة ورقيها في هذا العهد كثرة المجالات والمنافسات التى سادت روح العصر آنذاك ، إلي جانب تعدد الآراء وتباين الفلسفات وتنوعها . وكان للسوفسطائيين وغيرهم دور بارز في هذا الميدان (٢).

---

١ – ما نذكره هنا لمحة يسيرة عن الخطابة في المجتمع الإنساني ، ومن أراد المزيد فليرجع إلي ما كتبه العلماء في تاريخ الخطابة باستفاضة .

٢ – السوفسطائيون : هم جماعة من مفكري اليونان كانت لهم آرائهم الخاصة مثل القول بتغير العالم ، وعدم ثبوت الحقائق ... الخ مستخدمين في ذلك أساليب الجدال والمناقشات في محاولة لإقناع الناس بآرائهم .

وقد اهتم فلاسفة هذا العصر بالخطابة كعلم له أصوله وقواعده . ويعتبر أرسطو أول من كتب في هذا الفن . فقد ألف أول كتاب في الخطابة تناول فيه تعريفها وأنواعها وأساليبها . وقد قام الفيلسوف ابن رشد بتلخيص هذا الكتاب .

أما عن الخطابة في الجاهلية :

فقد عرف العرب الخطابة وكيف لا . وهم أهل البلاغة والفصاحة والبديهة الحاضرة ، يقول الجاحظ " وكل شيء للعرب فهو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام وليس هناك معاناه ولا مكابده ولا إجالة فكرة ولا استعانة وإنما هو أن يصرف همه إلي الكلام ..عند المقارعة أو المناقلة أو عند ؟ وصراع أو في حرب فما هو إلا أن يصرف همه إلي جملة المذهب ، وإلي العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالاً (أي أفواجاً) وتنثال عليه الألفاظ انثيالا .. وكان الكلام عندهم أظهر وأكثرهم عليه أقدر وله أقهر ، وكل واحد في نفسه انطلق ، مكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب " (١) .

وقد ازدهرت الخطابة في عصر الجاهلية – قبل الإسلام – ويرجع ذلك إلي عدة أسباب أهمها :

١ – تفرقهم قبائل متنازعة على أسباب العيش .

٢ – شدة غيرتهم ، واعتدادهم بالأنساب والأحساب ، وغضبهم الشديد لما يمس شرفهم ويحط كرامتهم لأنهم ذوو مزاج حساس .

٣ – انتشار الأمية فيهم ، فاضطروا إلي التعويل على ألسنتهم حين أعوزتهم الكتابة .

---

١ – البيان والتبين للجاحظ .

٤ – فطرتهم على الفصاحة والبلاغة ، وسهولة القول عليهم ، وسرعة استجابتهم لدعاتهم ، لما بين الداعي والمدعو من وحدة الجنس واللسان .

٥ – إثارة الغارات لأيسر الدواعي ، واضطرار كل قبيلة إلي الدفاع عن العرض والمال للأخذ بالثأر (١) .

أما عن أغراضها فيمكن تلخيصها فيما يلي :

إذكاء نار الحرب عند التنازع على أسباب العيش ، والدعوة إلي الصلح والوئام عندما يسأل الفريقان من الحروب الضارية التى كانت ، كما ذكرنا آنفا ، تقع بينهم هذا إلي جانب المفاخرة بالقبائل ، واعتزاز كل عربي بقبيلته . وأيضاً كانت الوصايا والإرشادات وخطب الكفاح وغيرها (٢) .

وقد اتسمت الخطابة في هذا العصر بسهولة العبارة ، وجزالة اللفظ ، ووضوح المعاني ، كما اتسمت بالتشجيع ، وإيراد الجمل القصيرة التي تحمل معان كثيرة . كذلك اتسمت بالخيال في التشبيهات والاستعارات وغيرهما ، مما جعل بعض العلماء يصف الخطابة عندهم بأنها شعر منثور .

هذا إلي جانب ما اتصفت به خطبهم من الإلقاء الفطري بلا تكلف ، فالخطيب يرتجل الخطبة دون التزام بوحدة الموضوع ، أو الترابط بين أجزائه

ونسوق للقارئ نموذجاً رفيعاً من خطب الجاهلية تتجلى فيه خصائصها المميزة من بلاغة القول ، وإيجاز الكلم ، ولا غرو فالخطبة لقرشي تربي في أفصح قبائل العرب ، وهي قريش . إنه في خطبة له يوم ذهب إلي السيدة خديجة ليخطبها لرسول الله (ﷺ) يقول أبو طالب في خطبته .

---

١ – مذكرات في الخطابة لمجموعة من أساتذة كلية أصول الدين سنة ١٩٤٨ .

٢ – بتلخيص من المصدر السابق .

" الحمد الله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمداً بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتي من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً ، وإن كان في المال قل . فإنما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما احببتم من الصداق فعليّ "

الخطابة في الإسلام :

إذا كانت الخطابة قد وجدت في العصر الجاهلي حياة تناسبها لأنها وجدت العربي يحيا حياة فروسية فقد وجدت في الحياة الإسلامية حياة أنسب ، إذ إن العرب كونوا فيها دولة تستظل بظل الدين ، وتجد في الإيثار والتقوى والإيمان روحاً وقوة وتثبيتاً .

وقد ارتقت الخطابة في صدر الإسلام وبلغت شأواً عالياً ، ويرجع ذلك إلي نزول القرآن الكريم ، فقد جاء القرآن فهزَّ النفوس ، وأخذ بمجامع القلوب ، ووجد الخطباء فيه طرق الإقناع ووسائل الإستدلال ، ولا غرو فقد اجتمع في أدلة القرآن الكريم ما لا يمكن أن يجتمع في أدلة سواها ، إذ تجد فيها استقامة المعني إذا قسته بمقياس المنطق فتجد المقدمات قد تلاءمت مع نتائجها وتوافرت فيها شروط الإنتاج ، كما تجد فيها جمال اللفظ ، وجودة الأسلوب ، ومخاطبة الإحساس ، وإثارة الرغبة إقرأ قوله تعالي : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ (١) .

---

١ - الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .

وإلي جانب القرآن الكريم وجد الحديث النبوي الشريف ، وكلام سيدنا رسول الله (ﷺ) وهو الكلام الذي يلي منزلة القرآن الكريم احتراماً وإجلالاً ، اجتمعت فيه فصاحة اللفظ ، وجودة المعني ، وحسن الأداء . بلغ من البلاغة الذروة ، ووصل من الروعة إلي القمة ، هو جوامع الكلم ، وفيه روائع الحكم ، وهو القول الفصل ، لا فضول فيه ولا تزيد ، أخذ من القرآن الكريم وأوحي به إليه الرحمن ، لكلامه جلال لا تجده في سواه ، وتحيط به هالة روحية تحس منها بشعاع النبوة ، ولو أن كلامه عرض عليك منسوباً لغيره لأنكرت النسبة ، ورددت الحق إلي نصابه ، وقد أثار ذلك روح العجب والإعجاب في أصحابه ، حتى قال له أبو بكر (رضي الله عنه) لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام " ربي فأحسن تأديبي " . وقد كان للحديث أثران في الخطابة لأن الحديث أضاف إلي اللغة ثروة من المعاني وثروة من الأساليب التى كانت تعد من النبي (ﷺ) ابتداعاً مثل قوله " حمي الوطيس " " ومات حتف أنفه " .

(ب) ولأن الحديث هذّب اللغة تهذيباً قريباً من تهذيب القرآن الكريم ، إذ سهّل ألفاظها ، ورقّق أساليبها ، وذهب بالحواشي منها ، فكان لكل هذا أثره في الخطابة لأنها ؛ شعبة الأدب الأولي في ذلك العصر ، بل أعظم شعبه وأظهر مظاهره .

وثانيهما : أن كثيراً من الخطباء كان يرطب لسانه في خطبه بشيء مما أثر عن الرسول (ﷺ) تيمناً بقوله ، واسترواحاً للسامعين ، وليكسبوا كلامهم روعة وليستشهدوا بكلام الرسول (ﷺ) على صحة ما يدعون . وإذا علمت أن

أكثر الخطب في ذلك العصر كانت تدور على مبادئ الدين علمت مقدار عنايتهم برواية أحاديث رسول الله (ﷺ) والاستشهاد بها في خطبهم (١) .

مميزات الخطابة في صدر الإسلام :

تميزت الخطابة في صدر الإسلام بمميزات نلخصها فيما يلي :

١ – كثرة الاستشهاد بالأصلين الشريفين (القرآن والسنة) .

٢ – سهولة اللفظ ، وجزالة العبارة ، وقوة الأسلوب ، وقد كان لذلك أثره في التأثير على النفوس ، وتهذيب الطباع المتنافرة ، وتوفيق القلوب القاسية والسيطرة على مشاعر الناس ووجدانهم .

٣ – اجتناب السجع المُتكلَّف ، وتجنب الغريب من القول ، والبعد عن التشدق ، والتصنع في مخارج الكلمات .

٤ – غلب عليها الطابع الديني ، فقد كانت موضوعاتها تتعلق ببيان أحكام الشريعة ، والحث على الجهاد والمشاورة في الرأي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلي جانب ذلك فقد كانت خطبهم في الحروب " دعوةً إلي مرضاة الله (عز وجل) وإعلاءً لكلمته ورفعاً لدينه ، ونشراً لدعوته . وخطبهم في الشورى صورة لفهمهم الدين ، كل يدلي بالرأي ويربط دعواه بالمبادئ الدينية ، وخطبهم في الاجتماع والألفة، أدلتهم فيها القرآن الكريم والسنة النبوية والمبادئ الإسلامية المعروفة من الدين بالضرورة.وهكذا كل أغراضهم الخطابية الدين فيها قُطْبُ الرحي ، وعليه يدور كلامهم وفيه يختلفون وبه يتفقون" (٢) .

٥ – صارت الخطبة مُجَزَّأةً ومُقَسَّمة كل قسم يلحق سابقه ، تبتدي بمقدمة فيها يحمد الخطيب الله (سبحانه وتعالي) ويثني عليه بما هو أهل له ، ويصلي

---

١ – المصدر السابق ص (٢٦١) .

٢ – المصدر السابق ص (٢٦٦) .

على النبي (ﷺ) ثم يهجم على الموضوع فيقدم ما يراه دليلاً لدعواه ، وبرهاناً لما يراه ، وبعد أن يتم القول فيه ويوفي على الغرض يتوجه إلي الله (سبحانه وتعالي) يدعوه أن يوفقه إلي الرشاد(١).

الخطابة بعد عصر الرسول (ﷺ) :

استمرت الخطابة على حالها الذي أسلفناه من القوة والازدهار والتأثر في النفس وغرس العقيدة الصحيحة فيها . بعد وفاة الرسول (ﷺ) وأيضاً في عصر خلفائه الراشدين ، وهذا العصر الذي أولي فيه الخلفاء عنايتهم بالخطابة ، ولا غرو فقد كان الخلفاء أنفسهم يمارسون الخطابة . بل أنهم كانوا من أبرز خطباء ذلك العصر قوةً وتأثيراً ، فأبو بكر الصديق اشتهر بخطبه الوجيزة البليغة المؤثرة في النفوس ، وعمر بن الخطاب كذلك . وقد جمعت لنا كتب التاريخ العديد من خطبها ، وكذلك عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، هذا الذي اشتهر منذ صغره بطلاقة لسانه ، وقوة بيانه ، حتى إن المؤرخين قد أخذوا من كلامه حكماً تُروي ، ومواعظ تحفظ . وله رضي الله عنه كتاب يسمي (نهج البلاغة) جمع فيه كثير من خطبه وحكمه ومواعظه .

أما في عصر بني أمية وهو الذي يلي تاريخياً عصر الخلفاء الراشدين ، فإن الخطابة قد ظلت على حالها قوية مزدهرة ، وإن اتسع نطاقها في ذلك العصر ، وتعددت ميادينها ، وتنوعت موضوعاتها ، ويرجع ذلك إلي :

١ – تعدد الأحزاب السياسية .

فلقد شهدت الدولة أحزاباً أربعة . حزب بالشام مع بني أمية يؤيد سلطانهم ويدافع عنهم ويدعو الناس إلي الإلتفاف حولهم ، وحزب مع عبد الله بن الزبير بالحجاز يؤيده وينأصره بغية أن تكون له الخلافة ، وحزب الشيعة هو حزبُ

---

١ – المصدر السابق ص (٢٦٨) .

قوي اتخذ من العراق وفارس مركزين له ، والشيعة كما هو معلوم ، ترى أن الخلافة حق للعلويين وحدهم ، وأن بني أمية قد اغتصبوا الخلافة منهم ،

أما الحزب الرابع فهو حزب الخوارج . وهم الذين خرجوا على علي ابن أبي طالب في حادثة التحكيم بينه وبين معاوية . وقد كان هذا الحزب شديد الخصومة على بقية الأحزاب الأخرى ، وكانت له آراؤه الدينية السياسية المستقلة . وقد ذكرها علماء الكلام في كتبهم .

ومع تعدد الأحزاب ، وتباين نزعاتهم وآرائها . كان ضرورياً أن نجد الصراعات الدائمة ، والمناقشات العنيفة في هذا العصر .

وهي أمور جعلت الخطابة في هذا العصر تأخذ طابع القوة والحماس ، ولا غرو فكل حزب يدعو إلي مبادئه وأفكاره ، ويتخذ من الخطابة سلاحاً قوياً لنشر هذه المبادئ ، وإقناع الناس بها .

٢ – كثرة الفتوح الإسلامية في هذا العصر ، وهو أمر يدعو بالضرورة إلي ازدهار الخطابة بين الشعوب المفتوحة ليبصرهم بحقيقة الإسلام وأحكامه وآدابه ، ولن يتم ذلك إلا من خلال خطبة بليغة تؤثر في النفوس ، وتنفذ إلي أعماق القلوب . فللكلمة أثرها في النفس والقلب ، وهي كما قلنا أشد تأثيراً من السيف .

٣ – محافظة بني أمية على عروبتهم ، فعلى الرغم من أنهم عاشوا في ملذات الدنيا ونعموا بخيراتها إلا أن ذلك كله لم يبعدهم عن عروبتهم الأصيلة ، ومن أبرز مقوماتها اللغة فحافظوا عليها ولم يتأثروا بلغة الأمم المفتوحة من الفرس وغيرهم ، بل حافظوا على أصالة لغتهم وعروبتها وبلاغتها ، وهو أمر ساعد على قوة الخطابة وازدهارها في العصر الأموي .

وقد غلب على الخطابة في هذا العصر الطابع الحزبي كما قلنا ، فكانت الأحزاب وكأنها في حلبة سباق ، كل منها يخطب لترويج مبادئه وأفكاره .

ومن ثم كانت الخطب مؤثرة بليغة ، تأخذ طابع الحماسة والإقناع ، ومحاولة استمالة النفوس إلي هذا الحزب أو ذاك .

وإلي جانب ذلك فقد غلب على الخطابة طابع الجدل ، وقد ظهر ذلك واضحاً في نهاية هذا العصر ، وكان الدافع إليه كثرة الخلافات السياسية والمذهبية بين الأحزاب المتصارعة ، حتى آلت الخلافة إلي العباسيين فاتسع نطاق الجدل فيها .

" وقد ظهر في هذا العصر خطباء علماء الكلام ، يعظون ويدافعون عن مذهبهم في أصول الاعتقاد ، كالحسن البصري الذي قال فيه أبو عمرو ابن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج الثقفي ، فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال الحسن .

وواصل بن عطاء فقد كان نادرة زمانه في حضور البديهة ، وسداد الجواب ، وقد كان انضمام هؤلاء إلي صفوف الخطباء ، مما جعل الخطبة تستفيد من دقة تفكيرهم ، وغزارة علومهم ، إحكاماً وثروة في المعاني والأفكار"

أما عن الخطابة في هذا العصر كأسلوب وألفاظ ومعان فقد " كانت ألفاظها صافية ، لا خشونة فيها ولا حواشي ، مع الجزالة والقوة ، وكانت معانيها تختلف باختلاف الخطباء ، فخطب الخوارج سادتها المعاني الدينية وإن غلب عليها القذف بالكفر للكثيرين ، وغير ذلك مما كان يدعو إليه الخوارج ويتفق مع آرائهم .

وخطباء الوعظ الديني كالحسن البصري ، وابن سيرين ، كانت كخطب السلف الصالح من كل الوجوه ، أما خطباء بني أمية فقد اتسمت خطبهم في معانيها بالتهديد ، انظر في ذلك خطب الحجاج بن يوسف الثقفي ، وزياد بن أبيه ، فقد كانت خطبهما تشبه الصخور التي يقذف بها الخطيب وجوه السامعين ، وإلي جانب ذلك فقد اشتملت معاني خطبهم على السب والأقذاع أحياناً وأيضاً المبالغة والإغراق لكثرة النفاق والملق والمدح . وقد اقتبس الخطباء في ذلك من

القرآن والسنة ما يُجَمِّلون به خطبهم . وكانت خطبهم تميل إلي الإيجاز تارة والاطناب تارة أخرى وفق ما يقتضيه المقام.

الخطابة في الدولة العباسية :

أما الخطابة في هذا العصر فقد كانت قوية مزدهرة ، اعتمد الخلفاء العباسيون عليها في تثبيت ملكهم ، وجذب الناس إلي تأييد سلطانهم ، ولكن ما لبثت الخطابة بعد المائة الأولي من حكم العباسيين أن ضعف شأنها ، ووهنت قوتها . ويرجع ذلك إلي اختفاء السبب الذي دعت إليه وهو تثبيت ملك العباسيين ، فمجرد أن توطدت أركان خلافتهم لم يكن لهم حجة إلي الخطابة لجذب الناس إليهم وتأييدهم .

وثمة أسباب أخرى ساعدت على ضعف الخطابة في هذا العصر منها : اعتماد الخلفاء العباسيين على الفرس والترك لحمايتهم . وهؤلاء وأولئك لا يؤثر فيهم القول العربي البليغ .

هذا إلي جانب ضعف العرب وضياع سلطانهم وفقد نفوذهم ، الأمر الذي أدي إلي ضعف الخطابة ، ولا غرو فالعرب هم أقدر الناس على ممارسة الخطابة بما لهم من فصاحة وبلاغة .

وهناك سبب آخر وهو أن الكتابة في هذا العصر قد ازدهرت بصورة عالية ، وتعددت أغراضها وبلغت شيئاً كبيراً بين الناس ، وقد ساعدت على ازدهارها كثرة المؤلفات ، وتعدد الفرق الكلامية وغيرها ، وقد شهد هذا العصر حركة علمية واسعة في شتي الميادين والثقافات ، وكثر الجدل والمناظرة بين زعماء الفرق وشيوخ المذاهب . وهي أمور ساعدت على عدم الاهتمام بالخطابة فقد حلت الكتابة محلها .

وقد انتقلت الخطابة عقب الدولة العباسية إلي عصرنا الحاضر من طور إلي طور ، وتزدهر حيناً وتضعف أحياناً كثيرة .

ولعل ما قدمناه في هذه اللمحة اليسيرة يلقي ظلالاً على الأطوار التاريخية للخطابة . ونود أن ننبه القارئ الكريم إلي أن ما قدمناه في هذه العجالة السريعة لم يكن تاريخاً للخطابة . فهذا موضوع يحتاج إلي بحث مستقل .وغايتنا من هذا البحث هو إبراز الخطابة كعلم له تاريخه وقواعده ، وفن له أصوله ومقوماته ، ومن هنا توخينا الإيجاز في مواضع ، والإطناب في أخرى ليلُمَّ القارئ – في وجازة – بشتات " الخطابة " كعلم ، وفن ، وسلوك .